بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة، منقحة بعنوان:

لماذا يتعاظم التراحم أكثر وأكثر في عصر الذكاء الاصطناعي؟

فتَرَاحَمُوا (١)

التراحم بين الزوجين نواة المجتمع الصالح

ما النجاح الحقيقي؟ وكيف نحققه في محاوره الأربعة؟

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٥ ذي القعدة ١٤٤٦هـ / ٢٣ مايو ٢٠٢٥م

الحمد لله رب العالمين.. الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيء، وجعل التراحمَ بين الناس صِلةً مِن صلات الإيمان...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كتَبَ على نفسه الرحمةَ، يقول (ﷺ): (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتِسْعِينَ جُزْءًا، وأَنْزَلَ في الأرْضِ جُزْءًا واحِدًا، فَمِنْ ذلكَ الجُزْءِ يَتَراحَمُ الخَلْقُ، حتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عن ولَدِها، خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ) (٢).

وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، قال تعالى في شأنه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧) ، فاللهم صلّ وسلِّم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصيه الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) هذه الخطبة كُتبت بشكل تجديدي وإثرائي؛ للإسهام في زيادة وعي السادة العلماء والخطباء، في إطار تحقيق أهداف خطبة الجمعة التي حددتها وزارة الأوقاف وللسادة الأئمة والدعاة الاطلاع عليها ودراستها، واختيار ما يناسبهم منها..والله ولي التوفيق.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد،،، نتحدث اليوم عن قضية جد مهمة... بوجودها تستقرُ البيوت، وتنمو الحياة، وبافتقادها تتحول الحياة إلى صداع وصراع... موضوعنا يدور حول: التراحم بين الزوجين: فَتَرَاحَمُوا... ذلك لأن التراحم بين الزوجين هو نواة المجتمع الصالح..

مكانة الرحمة في الإسلام:

الرحمة في اللغة: من رَحِمه يرحمُه، رحمةً ومرحمةً، إذا رقَّ له، وتعطّف عليه، وأصل هذه المادة يدلُّ على الرقةِ والعطفِ والرأفة. وتراحمْ القوم: أي رحم بعضُهم بعضًا. ومنها الرَّحِم: وهي عَلاقة القرابة بين الناس.
والرَّحْمَة في الاصطلاح: رقَّة تقتضي الإحسانَ إلى الْمَرْحُومِ. وقيل: رقَّةٌ في النفس تبعثُ على سَوقِ الخير للآخرين.
وقيل إن الفرق بين (الرَّحْمَة، والرَّأفة) أن الرَّحْمَةَ: إيصال المسرات، والرَّأفة: دفع المضرات. فالرَّحْمَة إذًا من باب التزكية، والرَّأفة من باب التَّخلية.

- **ولقد سمى الله تبارك وتعالى نفسه** (الرَّحْمَن الرَّحِيم) وهما اسمان متكرران كثيرًا في دنيا الناس، ومشتملان على صفة الرَّحْمَة، وكتَبَ على نفسه الرحمةَ.
- **وجعل الله (تعالى) نبيه سيدنا محمد (ﷺ) رءوفًا رحيمًا، وأرسله رحمة للعالمين:** (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ. فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة: ١٢٨-١٢٩). وقال (تعالى) ممتنًا على رسوله (ﷺ): (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ...) (آل عمران: ١٥٩).
- **وجعل الله هذه الصفة لصفوة خلقه، وخيرة عباده، وهم الأنبياء والمرسلون، ومَن سار على نهجهم من المصلحين.**
- **وقد امتدح الله المتَّصفين بالرحمة والمتخلِّقين بها وجعلهم في عباده المحسنين:**

يقول السعدي (رحمه الله) في تفسيره للآية ٥٦ من سورة الأعراف: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) في عبادة الله، المحسنين إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانًا كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبًا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى أهـ.
أما مَن كان بعيدًا عن الإحسان بالخلق، ظلومًا غشومًا شقيًّا، فهذا لا ينبغي له أن يطمع في رحمة الله وهو متلبس بظلم عباده.

أول ما يلفت الأنظار في كتاب الله صفتا: (الرحمن الرحيم):

إن أول ما يلفت الأنظار في كتاب الله (تعالى) أن كل السور فيه –باستثناء سورة التوبة– قد صُدِّرت بالبسملة، وأُلحِق بالبسملة صفتا الرحمن الرحيم، ولا يخفى على أحد أن تصدير كل السور بهاتين الصفتين أمرٌ له دلالته الواضحة على أهمية الرحمة في التشريع الإسلامي.
افتُتِحت سورة الفاتحة، بالبسملة –وفيها صفتا الرحمن الرحيم– كبقية السور، ثم نجد فيها صفتي الرحمن الرحيم قد تكرَّرتا في السورة ذاتها، وهذا التصدير للقرآن الكريم بهذه السورة بالذات له دلالته الواضحة أيضًا، فسورة الفاتحة يجب على المسلم أن يقرأها في كل ركعة من ركعات صلاته في كل يوم، ومعنى ذلك أن المسلم يُرَدِّدُ لفظ الرحمن مرتين على الأقل، ويُرَدِّدُ أيضًا لفظ الرحيم مرتين على الأقل في كل ركعة من ركعات الصلاة؛ ليتذكَّر فيها العبد رحمة الله تعالى، وهذا يعني ترديد صفة الرحمة في كل يوم (٦٨) مرة من خلال (١٧) ركعة تُمَثِّل الفروض

التى على المسلم؛ –فضلا عن السنن والنوافل– مما يُعْطِى تصوُّرًا جليلا لمدى الاحتفال بهذه الصفة الجليلة وهى صفة الرحمة [٣].

وبذلك تعيش الرحمة في كينونة المسلم، وتتحرك معه حيث كان، في حله وترحله وفي كل أوقات حياته [٤].

أيها المسلمون في كل مكان:

من هنا، من التراحم بين الزوجين:

- تُستدام الرحمة،
- وتدوم الألفة،
- ويتوارث الناس أخلاق الإسلام جيلاً بعد جيل.

إن الرحمة، والمرحمة، والتراحم، حين يرى الطفل آثارها في بيته، ويعيش في كنفها، ويشبّ عليها، تتغلغل في كينونته، ويتغذى عقله، وقلبه، ونفسه، وروحه على معينها العذب، فينشأ مفعمًا [٥] بالرحمة والرفق واللين في بيته، وفي عمله، وفي الطريق، وفي النادي، وفي المسجد، وفي كل مكان يحلّ فيه... وتصير منهاجا لحياته... وحقيقٌ بهذه الرحمة أن تصير منهاجًا لحياته، تُهذِّب سلوكه، وتسمو بمشاعره، وترتقى بتعامله مع من حوله... فإذا به يُعلِّمها بسلوكه للقلوب التى اصطفاها الله، فتعشعش الرحمة في جنبات المجتمع، وتغدو خُلقًا عامًّا، ونسقًا مشتركًا، وسبيلاً إلى مجتمع صالح، متماسك، ترفرف عليه السكينة والمودة والرحمة على الدوام.

توجيه نبوي كريم:

عن عبدِ اللهِ بن عمرو بن العاص (رضى اللهُ عنهما) أنَّ رسولَ اللهِ (ﷺ) قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ...) [٦].

فهذا الحديثُ يفيضُ عطفًا، وبرًّا، وحنانًا، ورحمةً من قلب الرسولِ الكريم، على كلّ مَن يتلقَّى وصاياهُ الحكيمةَ ونصائحَهُ الغاليةَ بالقبولِ الحسنِ...

فسيدنا محمد (ﷺ) رسولٌ حكيمٌ رؤوفٌ رحيم، قد تفجَّرت من قلبهِ الزكىّ السليم ينابيعُ الرحمةِ، فسالت أوديةٌ بقدرها في قلوبِ المؤمنين المخلصين، فعاشوا بها يتراحمون فيما بينهم تحت مظلَّة الإيمانِ، متآخين متحابين، يجتمعون على حبّ اللهِ –تبارك وتعالى– ويتفرَّقون عليه، فكانوا مثلًا لا مثيلَ لهُ في تطبيق الشريعةِ السمحةِ التى جاءَ بها هذا الرسولُ الكريمُ، حتى بدا للناس أنَّهم نجومُ الهدى، ومصابيحُ الإسلامِ لكلّ من أرادَ الهدى ورغبَ في الإسلام.

إنَّ رسولَ اللهِ هو المثلُ الأعلى في جميع المُثل العليا، قد تجسدت فيه كلُّ آياتِ النُّبل والخُلُق الرفيع. فكان أُسوةً لأصحابِهِ ولمن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

والرحمةُ هى الأصلُ الأصيلُ لهذا الدين الحنيف، وهى كلمةٌ واسعةُ الدلالةِ لا تقتصرُ على رقَّةِ القلب ولين الجانب فقط، وإنما تعدلُ سُلوكًا وعدلًا، وتحملُ في طيَّاتها كلَّ خير.

(الرَّاحِمُونَ): وصفٌ للموصوفِ من رجالٍ ونساءٍ تأصَّل في موصوفِهِ بحيثُ صارَ عَلَمًا عليه، فإذا قيل: قالَ الراحمُ، أو ذهبَ الراحمُ، عُرِف أنَّه فلانٌ؛ لأنَّه لاشتهارِهِ بالرحمةِ أصبحتِ الرحمةُ له كالاسمِ الذي سمَّاهُ به أبواه.

---

(٣) https://www.islamweb.net/ar/article

مجتمع الرحمة

(٤) راجع حلقة برنامج الإسلام والإحياة في إذاعة القرآن الكريم، عن: (قيمة الرحمة وتطبيقاتها في الإسلام وأثرها في صلاح الفرد والأسرة والمجتمع) يوم الأربعاء ١٥ من جمادي الآخرة ١٤٤٠ هـ ٢٠ فبراير ٢٠١٩م، لفضيلة الدكتور/ أحمد علي سليمان عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، تقديم الأستاذ/ محمد جمعة.

(٥) مفعم: أي ممتلئ بشيء حتى يكاد يفيض به. وغالبًا ما تُستخدم مجازًا للدلالة على الامتلاء بالمشاعر أو الصفات الإيجابية، مثل: مفعم بالحب: أي ممتلئ بالحب.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه– حسن صحيح.

يقولُ النحويُّون: الراحمُ اسمُ فاعل يدلُّ على الثباتِ والدوام، ويزيدُ عليه علماءُ البلاغةِ فيقولون: هو صفةُ الموصوفِ نابتٌ عنه، فاستُغني عن ذكرِهِ بها.

ونخلصُ من هذا إلى أنَّ الراحمَ هو الذي من شأنِهِ الرحمةُ، لا تُفارقهُ ولا يُفارقها، هكذا ينبغي أن نفهمَ مدلولَ هذا الوصفِ، فلا يُقالُ لمن رحمَ مرَّةً إنَّهُ راحمٌ.

أما قولهُ: (يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ)، فإنَّهُ يُوحي بعظمةِ الرحمةِ الصادرةِ ممَّن اتَّسعت رحمتُهُ، فالرحمنُ: هو علم للذاتِ العليَّة، –تُرَدُّ إليه أكثرُ الأسماءِ الحسنى كالرحيم، والكريم، والرؤوف، والبر، والحليم، والفتاح، والباسط، والتواب... إلى آخر الأسماءِ التي فيها معنى الرحمة– ومعناه: صاحبُ الرحمةِ التي وسِعَتْ كلَّ شيء، وما دام هو كذلك، فإنَّ رحمتَهُ بالرُّحماءِ تكونُ عظيمةً موصولةً لا تنقطع، فهو يرحمُهم ما داموا متصفينَ بهذا الوصفِ.

والفعلُ المضارعُ (يَرْحَمُهُمُ) يدلُّ على التجددِ والحدوثِ والاستمرار.

والرسولُ (ﷺ) بليغٌ غاية البلاغة وهو الذي أوتي جوامع الكلم وهي خصوصيَّةٌ له، فضَّلَهُ اللهُ بها على جميع الأنبياءِ والمرسلين، يُعبِّرُ عن المعاني بأسلوبٍ يشعُّ منه نورُ النبوَّة، فقد آثرَ التعبيرَ بهذا الاسم ليُشعرَ المؤمنَ من خلالِ ذكره بأنَّهُ أمامَ فيض لا ينقطع من الرحمةِ التي لا منتهى لأصولِها وفروعِها.

فلو قال مثلا: [الراحمون يرحمهم الله]، لكان صوابًا، ولكنه لا يُوحي بالمعنى الذي يريدُ رسولُ اللهِ أن يُعمِّقَهُ في نفوس المؤمنين. ورسولُ اللهِ إنَّما يقتدي في ذلك بالقرآنِ الكريم، فينسبُ كلَّ صفةٍ لموصوفِها، وكلَّ فعل لفاعلِهِ، بحيث يظهرُ من ذكره بالوصفِ مدى تأثيره في الفعل، أو في المفعولِ به. فقولُكَ مثلًا: "يَرْحَمُنِي الرَّحْمَنُ" أبلغُ من قولِكَ: "يَرْحَمُنِي اللهُ"، وإنْ كان كلا القولينِ صحيحًا.

وقولهُ (ﷺ) بعد هذا التمهيدِ: (ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) استجلابٌ لعواطفِ المؤمنين، واستدرارٌ لحنانِهم على إخوانِهم؛ إذ هم رحماءُ فيما بينهم بمقتضى إيمانِهم، كما قال (تعالى) في وصفهم: (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..) (الفتح: ٢٩)، فهو تذكيرٌ بالرحمةِ لمن لا ينساها، مبالغةً في الحثِّ على المداومة عليها، والحرص على زيادتِها ونموّها حتى يبلغ فيها الرجلُ منهم حدَّ الإيثار.

وهذا الخطابَ النبويَّ الشريف ليس قاصرًا على المؤمنين فحسب، ولكنه خطابٌ عامٌّ ينتفعُ به المسلمون وغيرُ المسلمين ممَّن لهم دينٌ سماوي، فالرحمةُ أصلٌ من أصولِ الدين الذي ارتضاهُ اللهُ لعبادِهِ، وفطرهم عليه، واعتصم به المؤمنون. فهو خطابٌ للمؤمنين بالأصالة، ولغيرهم بالتبعيَّة، ليعلم كلُّ من له دينٌ سماويٌّ أنَّ نبينا عليه الصلاة والسلام جاء متمِّمًا للرسالاتِ السماوية، ومؤيِّدًا لها، وتميَّزَتْ شريعتُهُ الغرَّاءُ بالسماحةِ، واليُسر، والرَّحمةِ، والعدالةِ المُطلقة وأنه رسولُ الرحمةِ والسَّلام.

ورحمةُ الله إذًا لا ينالُها إلا الرحماء، والمؤمنون هم الرحماء، قد **هذَّب الإيمان طباعَهم**، وزكَّى نفوسَهم، **وسما بأخلاقهم**، وهوَّن عليهم الدنيا، **ورغَّبهم في الآخرة** (٧).

من سكينة البيت إلى سكينة المجتمع

التراحم بين الزوجين.. البذرة الأولى لرحمة مستدامة تتوارثها الأجيال

وإذا كانت الرحمة في عمومها مطلوبةً بين الناس جميعًا، فهي بين الزوجين أوجب وألزم؛

– فهي سرُّ الاستقرار،

– وراحة القلب والبال،

– وبها تُبنى البيوت على المودة لا على العناد، وعلى الحلم لا على الطيش، والجهل، والغضب، والعنف، والحدة، والتهور.

لغة الرحمة.. وتوارثها وتناقلها:

(٧) د/ محمد بكر إسماعيل: وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، جـ ١، ص ٢١١–٢١٩ بتصرف.

وإذا تراحم الزوجان، نشأ الأولاد في بيئة مفعمة بالسكينة والمحبة والحنان، وتشرَّبوا منذ نعومة أظفارهم لغة الرحمة، لا لغة العنف، وتربَّوا على اللين والرفق لا على القسوة والحدة.

ومن رَحِم هذا التراحم الأُسري، تتكون شخصيات سوية، وقلوب نقية، وأرواح تنضح بالمودة والرحمة.

فلا يلبث أن يكبر هؤلاء الأولاد، فيحملوا هذا الخُلُق العظيم في قلوبهم وعقولهم، ويتنفسوه في بيوتهم حين يصبحون آباء وأمهات، فيتناقلوه كما تُتناقل الموروثات العريقة، وتتوارثه الأجيال كما تُورّث الأسماء والأملاك، بل أعظم.

وهكذا يُسهم التراحم بين الزوجين في تأسيس جيل رحيم، يتنفس الرحمة والرفق، وتفوح من طباعه رائحة اللين والحنان، يرحم الوالدين، ويرحم الناس، ويكون رحيمًا بالحيوان والنبات وحتى الجماد؛ فيسود المجتمعَ خُلُقُ الرحمة، وتصير البيوت مدارسَ تُخرّج القلوب الرحيمة والنفوس السوية والعقول المتزنة، وتغدو الرحمة حينها نسقًا حياتيًّا مشتركًا، تنتفع به الأسرة والمجتمع والعالم.

لماذا تتعاظم قيمة التراحم بين الزوجين في عصر الذكاء الاصطناعي؟

الذكاء الاصطناعي أصبح واقعًا، وسيصبح في المستقبل شيئا لا يمكن الاستغناء عنه أو تفاديه أو تخطيه...

وعلى الرغم من أهميته في قطاعات متعددة وأعمال مختلفة، فإن الحقيقة التي يمكن أن نقررها:

- أنه لن يكون بديلا عن: العلاقات الإنسانية والاجتماعية، والمشاعر والأحاسيس، والأسرة، ومؤسسات التربية،... إلخ.
- ولن يحقق الدفء الإنساني، بل إن آثاره –إذا لم ننتبه لها ونسعى لتوجيهه لما نريد– فستُلقى بظلاله الخطيرة وتأثيره غير المرغوب على مؤسسة الأسرة والنشء والشباب أكثر مما يحدث الآن...

الخطير في الذكاء الاصطناعي أنه سيستحوذ على وظائف جديدة اجتماعية وأسرية، ومن ثم سيؤدي حتمًا تقليص مساحة التفاعلات البشرية وحصرها في مجالات محدودة للغاية.

ولا ريب في أن توغل الذكاء الاصطناعي في الحياة الإنسانية، يثير تساؤلات حول: ما حدود ما يتبقى للإنسان بعدما اضطلع الذكاء الاصطناعي بوظائف الإنسان وأدواره وواجباته؟.

مكمن الخطر:

ومكمن الخطر الظاهر في الذكاء الاصطناعي حاليًا –وفقًا لأقوال الخبراء– أنه سيسهم في:

- تقليص العلاقات الإنسانية داخل الأسرة إلى أدنى مستوى تفاعلي.
- حصر دور الأسرة في الرقابة الإلكترونية وتأمين النشء من خلال المتابعة وأجهزة الإنذار.
- غياب حقيقة في غاية الأهمية، وهي: أن العلاقات الإنسانية داخل الأسرة هي مساحة للتعليم والتهذيب الأخلاقي والسلوكي وتبادل المشاعر وإيجاد الطمأنينة والسكينة وغيرها من الاحتياجات الوجدانية التي لن يستطيع الذكاء الاصطناعي تفهمها أو النهوض بها(٨).
- أساليب الحماية:

وفي ظل التحديات السابقة وغيرها كثير فإن عبء حماية النشء في أعناقنا جميعًا.

لذلك نحمي النشء المسلم بترسيخ **المسؤولية** الفردية والجماعية في نفسه، وتعليمه **التفكير الناقد**، **والتحاور** معه بأسلوب حضاري يُعلي قيمته كإنسان، وبتعليمه **احترام قيمة الكبار** ومكانتهم وأخذ **النصائح منهم**؛ لأنهم يمتلكون الخبرة الكافية.

نحمي النشء **بالرحمة وإثراء العواطف والقضاء على جفاف المشاعر**، وتشجيعه على الاجتهاد في **عبادة الله** وطاعته، وذكره، وتدريبه علميًّا وعمليًّا على قيم **الرضا والقناعة** في عطاءات الله، وعلى **الصدق** والبعد عن الكذب

(٨) راجع: مصطفى عاشور: الأسرة والذكاء الاصطناعي (إسلام أون لاين) https://islamonline.net بتصرف.

والصبر الجميل **والصفح** الجميل **والعفو** الجميل **والإيثار والحنان والتسامح وحسن الخلق** ومكارم الأخلاق **والبر والتقوى وتحرى الحلال، والشورى والحوار، والرضا والقناعة والزهد** في الدنيا، والزهد فيما لدى الناس.

نحميه **بالتشجيع والدعم النفسي والمزاورة** وتبادل **التهاني والهدايا**، والإبداع في أساليب التربية التي تتسق مع العصر ومع طبيعة كل مرحلة، **وبالقدوة** الصالحة، **وبشكر الله** فبالشكر تدوم النعم وبالقيم والأخلاق الإسلامية النبيلة.

الأسرة والإعلام الجديد: معارك الهُوية وسبل الصمود:

الأسرة هي أعرق مؤسسة في التاريخ الإنساني، فهي اللبنة الأساسية التي يتكوَّن منها المجتمع، ولا يمكن أن تقوم حضارة دون تماسك الأسرة. ولقد تطوّرت الأسرة عبر التاريخ، وتعرضت لتحديات وتغيرات، ولا تزال وستبقى تواجه تلك التحديات المتجددة على مر العصور.

لقد ظل الشرق والغرب يُبدون إعجابهم بالنموذج الفريد للأسرة المسلمة، ويغبطوننا على مؤسسة الأسرة المسلمة، من حيث مدخلاتها أي في طريقة بنائها، وفي عملياتها، وفي مخرجاتها من النشء الصالح، والعمل الصالح.

وفي زمنٍ تَشابَكت فيه الشاشاتُ مع الأرواح، وتداخلَ فيه العالَمان: الافتراضي مع الواقعي، وجدت الأسرةُ المسلمة نفسها في مواجهةٍ غير مسبوقة، مع تياراتٍ إعلاميةٍ لا تهدأ، ورسائل خفية وظاهرة تُعيد تشكيل الوعي والقيم والهوية وتنميط البشر وفق ثقافة الوافد العاتي.

لقد صار الإعلام الجديد ليس مجرّد وسيلة، بل قوةً تغييريةً جبّارة، تسهم في صناعة الأنماط السلوكية، وتوجيه العقول، بل وإعادة تعريف مفهوم الأسرة ذاته.

وفي خضم هذه التغيرات المتسارعة، تخوض مؤسسة الأسرة معارك يومية بل لحظية –قد لا تُرى– لكنها تُضعف البنيان وتنهك القوى إذا لم يُعزز، وتُهزّ القيم إذا لم تُحمَ، وتُفتت الروابط إذا لم تُرعَ.

إنها اختراقات ومعارك على الهُوية والثوابت والقيم والتقاليد والأعراف والأصول المرعية، وأيضًا على المرجعية التربوية، وعلى اللغة والذوق والفِكر والعقيدة.

وبات الصمود في وجه هذه العواصف واجبًا حضاريًّا وتربويًّا وأخلاقيًّا، لا تتحقق معالمه إلا بتشخيص التحديات، ورسم سبل المواجهة، وبناء الوعي داخل البيوت، وتمكين الوالدَين من أداء دورهما في زمن السُّرعة والتشظي والانشغال.

ونسلّط الضوء هنا على أبرز تحديات الهُوية وتأثيرها على الأسرة المسلمة بفعل الإعلام الجديد. فعلى الرغم من الأهمية البالغة لشبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام الجديد؛ فإنها قد خلَّفت سلبيات كثيرة ما كنا في حاجة إليها، ومنها:

- ضعف العلاقات الأسرية والعزلة النسبية لأفراد الأسرة.
- التأثير السلبي على الترابط الأسري والتباعد بين الزوجين.
- شيوع ثقافة الاستهلاك داخل الأسر.
- ضعف الهُوية الثقافية والارتباط بالهوية الغربية.
- انحسار العلاقات الاجتماعية وضعف مهارات التواصل مع الناس.
- التأثير على الحالة النفسية والشعور بالاضطراب والقلق عند الابتعاد عن الإنترنت.
- التعب الجسديّ أو الذهنيّ وفقدان القدرة على النوم الصحي.
- فقدان الاهتمام بالهوايات التي كان يمارسها الأشخاص لاسيما الرياضية.
- إهدار قيمة الوقت وانخفاض مستوى الأداء الدراسيّ والواجبات الاجتماعية.

وتواجه الأسرةُ المسلمة سيلا عارمًا من التحديات التي أتت وتواترت مع الوافد العاتي، عبر الفضاءات الإلكترونية، وعبر منظومة الإعلام الجديد، ووسائل التواصل الاجتماعي، وبأساليب متنوعة، حتى أمسى النشء والشباب، بل وجُلّ أفراد الأسرة لا يستطيعون الفكاك من وسائل الإعلام الجديد.. وقد نجم عن ذلك:

- أصيب كيان الأسرة المسلمة بنوع من التغيرات.
- وتبدلت القيم والتقاليد.
- وحلَّت علينا قيمٌ غريبة، ولهجاتٌ جديدة.
- وظهرت طرقٌ جديدة في أنماط الكلام والتعبير والحوار.
- أمسى للشباب له عالمه الخاص الذي ربما لا يستطع أحد الاطلاع عليه أو الولوج إليه، لقد بدل ليله نهارًا، ونهاره ليلا، وضيع قواه التي يجب أن تُستثمر لصالحه ولصالح أهله ووطنه وأمته...

وأصبحنا في مسيس الحاجة إلى أن نتكاتفَ جميعًا، ونتوحدَ جميعًا، ونتحركَ جميعًا، وننهض جميعًا؛ لمواجهة هذا الخطر الخطير، وحتى نُطلِّقَ هذه القيم الغريبة طلاقًا بائنًا لا رجعة فيه.

والآن وبعد أن تمكن الإعلام الجديد –بما يحمله من قيم غريبة– من الشباب، أمسى كيان الأسرة في وضع خطير، يحتاج إلى تدخل عاجل... يحتاج إلى علاجاتٍ جذريةً سريعةً ومكثفة...

الوضع يحتاج إلى تكاتف شتى عناصر المجتمع ومكوناته؛ لدراسة هذه القضية الخطيرة، فأفراد الأسرة لا يجتمعون وإذا اجتمعوا، اجتمعوا بأجسادهم وتاهت عقولهم وقلوبهم وأفدتهم وأبصارهم وبصائرهم في غياهب التيه والتفاهة.... وتاه فكرهم، وضاع وقتهم وجهدهم وأجمل سنوات عمرهم أمام شاشات الجوالات عبر وسائل التقاطع الاجتماعي وليس التواصل الاجتماعي...

تأثرت هويتهم وتبدلت قيمهم في دياجر الألعاب الإلكترونية الخبيثة التي تجرُّهم جرًّا إلى سواحل المجهول، وإلى بواتق الضياع... أمسى شبابنا في وضع خطير..! أمسى حيث لا هدف، انحرفت أهدافهم، وانجرفت قيمهم!.

وهكذا تواجه الأسرة المسلمة سيلا عارمًا من التحديات المتأتية عبر الإعلام الجديد وما تلاه من تطبيقات الذكاء الاصطناعي، وستتعاظم التحديات أكثر وأكثر في المستقبل القريب والبعيد، الأمر الذي يفرض على العالم الإسلامي مزيدًا من الجهود المنظمة؛ لتقوية المناعة الفكرية والحصانة السلوكية للأسرة المسلمة، حتى تستطيع أن تحافظ على هُويتها الإسلامية، مع التركيز على دور الوالدين، وهو حجر الزاوية، ولن يكون هذا الدور فاعلا ومؤثرًا إلا إذا ترابط الطرفان وتفاهما وتراحما على الدوام [٩].

النبيُّ زوجًا رحيما.. الجوانبُ العاطفيَّة مع زَوجاته:

جعل الله (عز وجل) الزواج سكَنًا ورحمةً، لا مجرد عقدٍ وشكلٍ اجتماعي، فقال سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١).

تأملوا يا عباد الله! لم يقل: [وجعل بينكم قوةً أو سيطرةً أو مصلحةً]، بل قال: مودةً ورحمةً. فالمودة: المحبة، والرحمة: أن ترحم ضعف الآخر، وتغفر زلاته، وتعينه في عسره.

فالزواج علاقة تكامل، وبناء، لا صراع وخداع... إنه مؤسسة السكينة لا ساحة الصراع. يقول النبي (ﷺ): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي)[١٠].

فمن أراد أن يكون من خيرة الناس، فلينظر كيف يُعامل زوجه.

---

(٩) راجع: محاضرة: كيف نحمي كيان الأسرة من التشظي والانهيار للدكتور أحمد علي سليمان، ألقيت يوم ١٦ أغسطس ٢٠٢٢م في الأسبوع الثقافي لوزارة الأوقاف المصرية بمسجد فاطمة الزهراء بمدينة نصر. – القاهرة.

(١٠) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

لا تكن في الخارج حليمًا وفي البيت جحيمًا

لا تكن فى العمل لطيفًا، ومع الزوجة غشيمًا.

يا أيها الأزواج، يا أيتها الزوجات: إن الزوجة إذا لم تجد رحمة وحنانًا، وإن الزوج إذا لم يجد رحمة وتقديرًا، ضاقت الحياة بما رحبت، وربما تحوّل البيت من جنةٍ إلى جحيم.

وهنا نرجع ونتأمل في حياة سيد الخلق، سيدنا محمد (ﷺ)، كيف كان مع زوجاته؟.

كان يُسامرهن، ويُمازحهن، ويستمع إليهن، بل ويسابق زوجته عائشة رضي الله عنها.

وكان يقول لها: (إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، وإِذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قالَتْ: فَقُلْتُ: مِن أيْنَ تَعْرِفُ ذلكَ؟ فقالَ: أمَّا إذا كُنْتِ عَنِّي راضِيَةً، فإنَّكِ تَقُولِينَ: لا ورَبِّ مُحَمَّدٍ، وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لا ورَبِّ إبْرَاهِيمَ، قالَتْ: قُلْتُ: أجَلْ ، واللَّهِ –يا رَسولَ اللَّهِ– ما أهْجُرُ إلَّا اسْمَكَ) (١١).

هل رأيتم رقة أعظم من هذه؟

***

ومما يؤسف له ويفعل كثير من العوامل في مقدمتها التقنية أمسى كثير من بيوت المسلمين تشكو من القسوة، من الجفاف العاطفى، من غياب لغة الرحمة النبوية.

والغريب أن بعض الأزواج يظنون أن القسوة رجولة، وبعض الزوجات تظن أن العناد قوة.

والحقيقة أن الرجولة رحمة، والحكمة لين.

أيها المسلمون، التراحم لا يعنى غياب الخلاف، فكل البيوت تختلف، ولكن التراحم يعنى أن نختلف برقى، أن لا نجرح، أن لا نُهين، أن لا نكسر القلوب.

يا عباد الله، من يتراحم في بيته، يُبارك الله له في رزقه، ويُبارك له في عياله، ويُسعده في دنياه وأخراه.

واستحضروا قوله تعالى: (...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٩)، وقوله تعالى: (...وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...) (البقرة: ٢٢٨). فكونوا رحماء، ولينوا في القول، وعاملوا أزواجكم بما تحبون أن تُعامَلوا به... واستحضروا سيرة سيدنا رسول الله على الدوام.

القدوة النبوية:

لقد استطاع النبيُّ الكريم بسموّ أخلاقِه أن يأسِرَ قلوبَ كلّ مَن تعاملَ معه، فكان على الرَّغم مِن التزاماته الكثيرة جدًّا، ومَشاغِله الكبيرة، فقد كان **مبلِّغًا للرسالة، وقائدًا للدولة، وقائدًا للجيش، ومعلِّمًا للنّاس، ومصلحا بين الناس**؛ فإنَّه كان حريصًا على الوفاءِ التامّ بحقوق زوجاتِه وأهل بيته.. فكان رحيمًا رفيقًا.. هيِّنًا لينًا.. حَنونًا رحيمًا يعطفُ على أزواجِه.. ويهتمُّ بحقوقهنَّ، وكان يتحمَّل لهنَّ...

ولمّا سُئلَتِ السيدة عائشة (رضى الله عنها) عن حالِ النبى (ﷺ) في بيته، أجابت: "كانَ في مِهْنَةِ أهْلِهِ، فَإذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إلى الصَّلَاةِ" (١٢).

ولقد رسَّخَ النبيُّ (ﷺ) الشورى في بيتِ النبوَّة، وكان من ثمراتِها شورى السيدة أمّ سلمة (رضى الله عنها) التى نجَّتِ المسلمين من فتنةٍ كادت أن تحدُثَ في صُلح الحديبية.

ولقد كان النبيُّ (ﷺ) **مثالًا في تواضعه، ورحمته، وبره، وعطفه، ووفائه، وعدله** مع زوجاتِه وأهل بيته.

لقد توغَّلَ النبيُّ (ﷺ) في فهم شخصية المرأة وفي أعماقِها الرقيقة.. يُناجيها بدفء العاطفة، ويُعينُها على العمل لدينِها ودنياها؛ فاستطاعتِ المرأةُ بتَوجيهاتِه الجليلةِ أن تُصلحَ ما بينها وبين ربها، فأصلحَ اللهُ أمرَ دينها

(١١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

ودنياها. وتؤكدُ السيدةُ عائشة (رضى الله عنها) هذه المعاني بقولها: "ما ضرَبَ رسولُ اللهِ (ﷺ) بيدِه شيئًا قطُّ إلَّا أنْ يُجاهِدَ في سبيل اللهِ، وما ضرَب امرأةً قطُّ ولا خادمًا له قطُّ"(١٣).

وكان (ﷺ) يوصى بالنساءِ خيرًا، فيقول: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأهلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأهلِي)(١٤).

لقد كان النبيُّ زوجًا، وأخًا، وأبًا، وصديقًا لكلّ زوجاته، وكان يقابلُ إساءتهنَّ بالإحسان، ويحثُّ أتباعَه على الرّفق بهن، وورَدَ أنَّ النبيَّ (ﷺ) كان في سفَر، وكان غُلامٌ يَحدو(١٥) بهنَّ يُقالُ له أنجَشَةُ، فقال له النبيُّ (ﷺ): (رُوَيدَك يا أنجَشَةُ سَوقَك بالقَوارير)(١٦)، والمعنى: رفقًا بالقوارير.

فما أعظمَ هذا التَّعبير النَّبوي الراقي، وما أبلغَه؟! حيث شبَّه النساءَ في رقَّتِهنَّ وخِلقَتِهن بالزُّجاج الرَّقيق، في إشارةٍ منه إلى ضرورة مُعاملتِهنَّ بالرّفق واللين.

كان يَحنو على زوجاتِه أيَّما حُنُو، ويرحمهنَّ أيَّما رحمة، ويخفِّف آلامهنَّ وهُمومهنَّ وأتْعابهنَّ، ويُعلِّمهنَّ ويساعدهنَّ في شتَّى الأعمال.. ولم يدَّخرْ وسْعًا في ذلك.

والنبيُّ على جَلالةِ قَدْره، وعلوّ مَنزلتِه عند ربّه (سبحانه وتعالى)، كان (ﷺ):

- **يخصِف نعلَه** (١٧)،
- **ويرقِّع ثوبه**،
- **ويحلب شاتَه**،
- **ويساعد زوجاته**،
- **ويعمل في شؤون بيته**.

وكان دائمًا ما يدْعو إلى الفَهم الصَّحيح لطبيعةِ النّساء، وكان يقول: (إنَّ النساءَ شقائقُ الرجالِ)(١٨) والتعبير اللطيف البليغ بكلمة: شقائق، يعنى أنها لا تصحُّ الحياةُ أبدًا بشقّ دونَ آخر.

فالذي يُكرم النساءَ بأيّ صورةٍ من صور الكرم؛ كريمًا، والعكس بالعكس.

وهكذا كانت حياتُه سَهلةً، يَسيرة، بَعيدةً كلَّ البُعد عن التعقيد والجمود.

فحياتُه (ﷺ) مع زوجاتِه أمهاتِ المؤمنين (رضى الله عنهن) وأهل بيته كانت على طول الخط أنموذجًا مُتكاملًا يَجمع بين الجلال، والوَقار، واللّين، والملاطفة، ومِن ذلك نداءُ الزَّوجة بأحبّ الأسماء إليها، أو تَصغير اسمِها للتَّلميح والتَّليين والرّفق، فعلى سبيل المثال كان يقولُ لعائشة (رضى الله عنها): (يا عائشُ، هذا جبريلُ يُقرئكِ السَّلامَ). وتقول السيدة عائشة: "وعليهِ السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُهُ" (١٩).

وإنَّ المدقق في حياة النبى العظيم، في بيته، ومع زوجاته، وفي كل حياته؛ يجد أنَّ هناك معانٍ كثيرةً نحن بأمسّ الحاجةِ إليها في واقعِنا المعاصر، ولو اسْتَلهمنا مَعانيها وطبَّقناها؛ لأسهمَتْ في استقرار حياتِنا وبيوتنا، ولعَالجتْ قضايا كثيرة جدًّا، ومن بينِها قضايا: (الطلاق، والعُنوسة، والعنف الأسَري، وضَعف التربية، والانفلات الأخلاقي... وغيرها كثير).

ونؤكِّد دومًا على أهمية الاقتداءِ بسيدنا النبي (ﷺ) والتربية على حبه وإجلاله؛ ذلك لأنَّ التربيةَ على حُبِّه من أهمِّ أسسِ التَّربية التي لها دورٌ كبيرٌ في تكوين الشَّخصيَّة الإيمانيَّة الصحيحة، التي **تَنشر** الخير، **وتَبذره** في كلِّ مكان؛

---

(١٣) أخرجه الإمام ابن حبان في سننه.

(١٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(١٥) يحدو: أي يسوق الإبل وهو يغني لها ليحثها على السير.

(١٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٧) يَخصف نعله: أي يُصلح النعل إذا انشق أو تمزق، وذلك بخياطته أو تثبيته بشيء يعيده صالحًا للّبس. وقد استُخدم هذا التعبير في وصف تواضع سيدنا النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقد كان يُصلح نعله بيده، وهذا يدل على التواضع وعدم التكبر عن الأعمال البسيطة، على الرغم من مكانته العالية.

(١٨) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(١٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

ليظهَر، ويزهر، ويُثمر، ويؤتي حصادَه[٢٠] بإذن الله، ومن ثمَّ يتحقَّق فينا قولُ الحقّ (سبحانه وتعالى): (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..) (آل عمران: ١١٠).

رسالة نبوية عاجلة إلى الأزواج... وأيضا إلى الزوجات:

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً -يعنى: لا يُبغضها- إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ)، أَوْ قالَ: غَيْرَهُ[٢١]. وقال رسول الله ﷺ: (أكمَلُ المُؤمِنينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلُقًا، وخِيارُكم خِيارُكم لِنسائِكم)[٢٢].

إن الزوجية لا تؤدي غايتها، ولا تحقق الأغراض السامية المقصودة منها، إلا إذا ترابط الزوجان وتفاهما، واحترم كلٌّ منهما حقوقَ صاحبه، وقام بواجبه نحوه في صدقٍ وبرّ وإخلاص. ولم يُشْرَع اللهُ (تعالى) الزوجيةَ لتكون شركةً جافةً، لا همَّ لأصحابها إلا أن يحقق كل واحد منهم مصلحته الخاصة، ولو على حساب الآخرين.

لذلك يتجه رسول الله (ﷺ) بالنصيحة والإرشاد إلى الأزواج والزوجات جميعًا، ويضع لهم الدستور الذي على أساسه تُبنى البيوت، وتَسعد الأُسَر، ويصلح النسل، وتَقوى الأمة.

وهذان حديثان كريمان يُنَبِّه فيهما رسولُ الله (ﷺ) الأزواج إلى أمرين هما سرُّ السعادة الزوجية، وهما أهمُّ ما يُطلب من الرجل.

وهو يعلمنا أنه لا توجد امرأة إلا:

١. ولها بعض المزايا،

٢. وفيها بعض العيوب،

وإن من التمس امرأة كاملة في جميع النواحي، فقد التمس مُحالًا: فقد وهب الله هذه حظًّا من الجمال وإن كان في خُلقها شيء، ووهب هذه حظًّا من الخُلُق وإن كان في جمالها شيء، وفاوت بين هذه الحظوظ والأقسام كما قضت بذلك مشيئته (جلَّ وعلا): (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ..) (القصص: ٦٨).

هذه حقيقة مَن عرفها استراح وأراح، وأمكنه أن يَغُضَّ عن العيوب الكائنة أو المحتملة بجانب المزايا الكثيرة، وأن يغفر بعض نواحي الضعف لما يُجبرها من نواحي القوة، وهذا هو معنى قوله: (إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ)، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: (...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٩).

والمشكلة أن بعض الأزواج ينسون هذه الحقيقة ويغفلون عنها، فيُركّز الشخص منهم اهتمامه بناحية الضعف في زوجته، متناسيًا كل المحاسن؛ فيَشْقيه ذلك ويُشقيها.

ويظل من ناحية:

- يُجسِّمُ هذا العيب،
- ويتتبع مظاهره،
- ويتألم له؛ حتى يُنغّص على نفسه حياته، ويغرس في قلبه كراهية زوجته، ويظهر ذلك في تصرفاته معها قصدًا أو عفوًا، فتتألم هي أيضًا من ناحيتها، وتبادله كُرهًا بكُرهٍ، وإيلامًا بإيلام!.

وحينئذ يدب دبيب الخلاف، وتسري عوامل الشقاء، فإما اعتلال بعد ذلك، وإما انحلال.

والرسول الكريم (ﷺ) يُعَلِّم الأزواجَ أيضًا: أن الخلق الكريم في معاملة الناس عامة هو علامة الإيمان الكامل؛ لأنه دليل على الصفاء النفسي، والتماس الإحسان من الله بالإحسان في معاملة خلقه.

---

(٢٠) راجع: كتابنا: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، الطبعة الاولى، ص ٨٤-٨٥ بتصرف.

(٢١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢٢) أخرجه أبو داود مختصراً، والترمذي، وأحمد واللفظ لهما – صحيح.

وإذا كان هذا هو شأن الخُلق الكريم في الصلات العامة بين الناس بعضهم وبعض، فأولى للزوج –ثم أولى– أن يتمسك به في أهم صلة وأقوى صُحبة، وهى صلة الزوجية. يقول تعالى: (...وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٣٧).

وقد كان رسول الله (ﷺ) أكرم الناس مع أهله، وأرفقهم بزوجاته، ما رُئِىَ متجهّمًا في وجه إحداهن، ولا غاضبًا غضبًا يُخرجه عن سكونه ورحمته، ولا سبَّابًا، ولا فاحشًا، ولا مُحتقرًا لطعام، ولا مُؤثرًا به نفسه ولكن ما رضى عنه أكله، وما كرهه تلطّف في رده، وما غاب لم يُسأل عنه.

أيها الأزواج:

هذه أقوال نبيكم، وهذه أفعاله، قال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١).

فاستوصوا بالنساء خيرًا:

- لا تَستكبروا عليهن،
- ولا تَصخبوا في وجوههن،
- ولا تَبخلوا،
- ولا تَستأثروا،
- ولا تُعنِّفوا في الصغير والكبير، ولا تُحاسِبوا على الفتيل والنقير،
- ارحموا النساء، فلا تُكلِّفوهن فوق طاقتهن،
- ولا تأمروهن بما ليس في استطاعتهن،
- ولا تتهموهن بما ليس فيهن،
- ولا تُهمِلوا شأنهن وشأن أولادهن،
- ولا تتحكموا فيهن لمجرد الرغبة في إظهار السلطة وتنفيذ الكلمة.

إن النساء أمانات في أيديكم، وإن الله قد استرعاكم هذه الأمانات، فصونوها، وأحسنوا رعايتها، يحسن الله إليكم (٢٣).

يقول أستاذنا د/ محمد بكر إسماعيل (رحمه الله): المؤمنُ الحقُّ هو الذي يرضى بما قسم الله (تعالى) له، ويحمده على وافر نعمه. فإن رأى ما يسوؤه صبر واحتسب أجره على الله.

وإذا كمل إيمانه رأى في المحن مِنَحًا، فحمد الله (تعالى) في الضراء والسراء، وفي الشدة والرخاء؛ لعلمه أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرًا. **وما يقال للرجال يقال مثله للنساء.**

قصة جميلة: قيل أن رجلًا صالحًا تزوج امرأة صالحة، وكان رجلًا دميم الوجه تبغضه النساء، وكانت هي من أجمل نساء العرب. فنظرت إليه يومًا في صفاء، فتبسّمت، فسألها عن سر تبسُّمها، فقالت: أنا وأنت من أهل الجنة إن شاء الله. فقال: ومن أين عرفتِ ذلك؟.
فقالت: تزوجتُك فصبرتُ، وتزوجتَني فشكرتَ، والجنة للصابرين الشاكرين.

فانظر إلى ملاحتها، وفكاهتها، وطيب حديثها، وفهمها لقواعد الدين، مع جمال الخَلْق والخُلُق؛ فهى تداعبه ولا تُعيّره، وتُلاطفه في خفّة وظرف.

والعاقل مَن يضع لنفسه مقاييسَ يعرف بها الحسن من القبيح، والطيب من الخبيث، ويُميز بها الخير من الشر، ويحكم على الأشياء بحكمٍ صحيح، فلا يقطع بأمر إلا إذا عرف وجهَ الخير فيه.

(٢٣) راجع: أحاديث الصباح في المذياع لفضيلة الشيخ محمود شلتوت، وفضيلة الشيخ محمد المدني، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، هدية مجلة الأزهر، رجب ١٤٤٦هـ، ص ١١٤–١١٧

فالزوج –مثلا– قد يرى من زوجته عيبًا في خَلْقها أو في خُلُقها، فلا ينبغي أن يفركها –أي يبغضها– فإنه إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر.

فقدر –مثلا– أنها غَيُورة أكثر مما يجب، أو كذا أو كذا؛ فإن هذا كله مما تُعاب به، ولكنها عفيفة، أمينة على مال زوجها، صادقة في أقوالها وأفعالها، ودودة لأهل زوجها، محبة لجيرانها، إلى غير ذلك مما يُحسب لها.

فعلى الرجل أن يضع هذا وذاك في الميزان، فإنه سيجد ما تُعاب به أمرًا هيّنًا لا يستوجب بُغضه لها.

ولو نظر إلى ما في غيرها من العيوب، لهانت عليه عيوبها.

وما يُقال للرجل يُقال للمرأة أيضًا، فالخطاب له ولها، إلا أن النبي (ﷺ) وجّه الخطابَ للرجل؛ لأن العصمة بيده، وليستدرّ عطفه ورحمته وإحسانه إليها، فهو القوّام عليها، وفي إمكانه أن يتزوج غيرها ليجد عندها ما يفتقده فيها، فكان خطابه له من باب استدرار عطفه عليها، ورحمته بها، واستجلاب إحسانه إليها.

والمقصود بالمخاطب في هذا الحديث هو المؤمن، لأنه هو الذي ينتفع بالذِّكرى، وتؤثر فيه الموعظة، وهو الذي يستجيب لله ولرسوله فيما فيه سعادته في الدنيا والآخرة.

ولذا لم يقل النبي (ﷺ): [لا يَفْرُكُ رجلٌ امرأةً]، بل قال: (لا يَفْرُكْ مؤمنٌ مؤمنةً). والخطاب هنا موجه للمؤمن تحديدًا.

ولاحظ أيضًا أن النبي (ﷺ) قد اهتم في هذه الوصية بالجانب الخُلُقي أكثر من الجانب الخَلْقي، فقال: (إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ)؛ لأن الجانب الخُلُقي أهم بكثير من الجانب الخَلْقي.

ويكفينا:

١. أن صبر الرجل على امرأته، وصبرها عليه، من أعظم أنواع الصبر.
٢. وأن الرضا بينهما من أعظم أنواع الرضا.
٣. وأن التراحم بينهما من أعظم أنواع التراحم.

وبهذه الأمور جميعًا تدوم العِشرة، ويُحفظ الود، وتزداد الأُلفة، ويصلح شأن الأسرة، وبصلاحها يصلح المجتمع كلّه (٢٤).

أثر الكلمة الطيبة الرحيمة في نجاح الحياة الزوجية:

الكلمات الدقيقة الرقيقة الرفيقة الرحيمة، التي يُطلقها الجَنان من خلال البَنان أو اللسان، تشرح الصدور المتعبة، وتؤلفُ القلوبَ المرهقة، وترممُ الأرواح المنكسرة، وتجبرُ الخواطر المنهكة، وتبعثُ الأمل في النفوس، وتقرب المسافات البعيدة بين الزوجين، وترسمُ بسمات الفرح على قسمات الوجوه، وعلى سهول القلوب، وعروش العقول، وتنشرُ الجمال بينهما.

بل إنها من أهم المعينات الأساسية على انتظام الحياة الزوجية.

أما الكلمة الخشنة العنيفة فهي كالقذائف المدوية المدمرة؛ التي تدمر ولا تعمر.. تهدم ولا تبني.

ولقد شاء الله الحكيم (جلَّ وعلا) ألا تسير الحياة الزوجية على نمط ثابت، أو على وتيرة واحدة، أو نحو رتيب؛ بل أرادها متغيرة متبدلة متحولة، فيها المفرحات والمنغصات.. الخير والشر.. الغنى والفقر.. الصحة والمرض.. العطاء والحرمان.. فيها الطاعة والمعصية.. القوة والضعف..

لذلك فلابد للحياة الزوجية أن تقوم على أركان أساسية، حتى تستقيم الحياة، ولعل من أهمها:

- سيادة الرحمة المتبادلة،
- والاحترام المتبادل،
- والحنان المتبادل،

(٢٤) وصايا الرسول للدكتور محمد بكر إسماعيل، ج ٢، ص ٤١٣ – ٤١٦.

- والرفق المتبادل،
- والصدق المتبادل،
- والإيثار المتبادل،
- والتضحية المتبادلة،
- وبشاشة القلوب قبل الوجوه المتبادلة،
- والكلمات الطيبة المتبادلة بين الزوجين، والتي تعد الحارس الأمين على بوابات الحياة الزوجية.

وصفة لحياة زوجية سعيدة:

ولكي نضمن النجاح للحياة الزوجية في خضم مشكلات الحياة ومكدراتها وتحدياتها فإنني أقدم روشتة لحياة زوجية سعيدة، وذلك يتوجب على الزوجين ما يلي:

–الاقتداء بسد الخلق سيدنا محمد (ﷺ) فقد كان مثالا في كل خير، كما أشرنا مفصلا فيما سبق..

–أن يكون المسلم هاشًّا باشًّا بسَّامًا بشوش الوجه، قدوة حسنة، مهندمًا، نظيفًا، جميلا على الدوام، ينتقى الكلمات الطيبة المريحة للقلب والنفس عند الحديث مع زوجه وأولاده ومع الآخرين.

–كظم الغيظ، ومجاهَدةَ النَّفس وضبطها والبعد عن الغضب وضبط اللسان وإلجامه عن الخطأ، فلا تظُنُّوا أنَّ الرَّجل القويَّ هو من يَتمتَّعُ بقوة بَدنية يَستطيعُ بها أنْ يَصرَعَ الآخَرين، ولكنه القويُّ في إرادتِه، المتحكم في نفْسِه عندَ الغَضب، الحليم الكاظم غَيْظَه، المانع نفْسَه عن إيذاءِ النَّاس بيده أو لسانه.

– البعد عن الشخصيات المكتئبة المنفرة باعثة اليأس والإحباط في النفوس والقلوب الباحثة عنه في كل مكان.

– إسكان الكلمات الطيبة وكلمات البهجة في العقول، والقلوب؛ لتكون من الكلمات الدارجة، والمسموعة في البيوت على الدوام ، والمسكونة في المحصول اللغوي للزوجين على الدوام.

– تدريب العقل الزوجي والأسري؛ للتركيز على كل ما هو جيد في البيت وفي الحياة، وما ستجده حولك أن الأشياء الجيدة تحدث أكثر من الأشياء السيئة بكثير، ولكن الأمور السيئة تميل نحو حجب الأمور الجيدة!!؛ فالعلاج إذًا في مسألة موضع التركيز، وهذا ما يجب أن نعمل عليه؛ للتركيز، والتدريب على: النظر إلى الإيجابيات، والبهجة، والتفاؤل والتعبير عنها بكلمات بانيات، مع حجب العقل عن التركيز في الأمور السلبية، عندئذ ستنجح الحياة.

ثمار التراحم بين الزوجين:

ينجم عن وجود التراحم بين الزوجين ثمار طيبة، منها:

- راحة نفسية وطمأنينة قلبية.
- بر متبادل وعشرة طيبة.
- سكينة تغمر البيت وتُهدئ النفوس.
- احترام متبادل يرفع من قدر كل طرف.
- تركيز في العمل وزيادة في الإنتاج.
- طموح متجدد ورغبة في التقدم.
- تعاون مثمر في شؤون الحياة.
- بناء أسرة مستقرة قوية.
- ودّ متبادل بين الأهلين وصلة رحم.
- ذرية طيبة تنشأ في بيئة سليمة.

وهكذا فإن وجود التراحم بين الزوجين هو الأساس المتين لحياة زوجية ناجحة، تنعكس آثارها المباركة على الأسرة والمجتمع، وتُعطى للحياة معناها الحقيقى وروحها السامية.

عواقب غياب التراحم بين الزوجين :

ينجم عن غياب التراحم بين الزوجين مشكلات كبيرة، منها:

- توتر واضطراب نفسى في بيئة متعِبة وخانقة.
- قلق ونزاع دائم.
- عقوق وظلم.
- استهانة وربما تتطور إلى إهانة متبادلة.
- تشتيت ذهنى وفقدان التركيز.
- انكسار وفقدان الدافع.
- نزاع دائم وتقاذف الاتهامات.
- تبرم من المسؤوليات.
- هدم للأسرة وغياب الاستقرار.
- عداوات بين الأهل وقطيعة.
- ذرية تعاني من القلق والخوف والاضطراب والانحراف.

وبالجملة: فإن غياب التراحم بين الزوجين يُنتج بيئة خانقة، تؤثر سلبًا على الفرد والأسرة والمجتمع، وتُفقد الحياة الزوجية معناها وجدواها الإنساني والروحى.

فاللهم سلِّم يا رب، اللهم أسكن الخير والسكينة والرحمة في قلوبنا وفي بيوتنا وفي مجتمعنا وفي حياتنا..

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسى بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتَعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) أما بعد..

حديثنا هنا عن قضية اجتماعية وأسرية خطيرة، تمسّ حاضر الأمة ومستقبلها، قضية تُقلق الآباء والأمهات، وتشغل الشباب والفتيات، وتؤثر على الدين، والأخلاق، والمجتمع، إنها قضية الزواج.

ونتناولها من ثلاث زوايا محورية:

لماذا قلّ الزواج؟ ولماذا يفشل؟ وكيف تستقر البيوت؟

أولًا: لماذا قلّ الزواج في زماننا؟

يشهد الزواج في زماننا، تراجعًا ملحوظًا، يعود إلى عدة عوامل متشابكة، يمكن تلخيصها فيما يلى:

بات الزواج في زماننا مشروعًا مُكلفًا يفوق طاقة كثير من الشباب، بسبب المغالاة في المهور والتجهيزات وغلاء السكن، وكثرة المتطلبات، والمبالغة في المظاهر، مما حوّله من وسيلة للاستقرار والسكن، إلى عبء مادي ونفسى ثقيل.

ومع غياب التربية الجادة على تحمّل المسؤوليات، نشأ جيل من الشباب يفرّ من تبعات الزواج، ويفضّل حياة العزوبة المؤقتة على مواجهة أعباء أسرية يراها مرهقة أو غير ذات جدوى.

كما لم تَعد البيوت تُعدّ أبناءها لتقدير الزواج كقيمة إنسانية ودينية، ولا تُغرس فيهم محبة تكوين الأسرة، فكبروا دون أن يروا فيه هدفًا أصيلًا أو ضرورة لبناء الذات والمجتمع.

وزاد الطين بلّة ما وفّرته التكنولوجيا من بدائل رقمية وعلاقات افتراضية منحت البعض شبعًا عاطفيًّا زائفًا، خدَع الفطرة، وأفرغ القلب، وعجز عن أن يحقق ما يحققه الزواج من سكن ومودّة ورحمة.

هذا إلى جانب الصورة السلبية التي رُوّجت عن الزواج، من خلال القصص المحبطة، وتضخيم مشكلاته، وكثرة الحديث عن الطلاق والنزاعات، مما أسهم في تشويه صورته، وزعزع الثقة في نجاحه لدى كثير من الناس.

وهكذا، فإن انخفاض معدلات الزواج لم يكن عرضًا عابرًا، بل نتيجة خلل عميق في التصورات، والتربية، والثقافة المجتمعية، وهو ما يستدعي معالجة شاملة تعيد للزواج بريقه، وتُيسّر أسبابه، وتُهيّئ له قلوبًا ونفوسًا مؤمنة بقيمته، راغبة فيه، قادرة على إنجاحه.

ثانيا: لماذا يفشل الزواج؟

يفشل كثير من الزيجات في زماننا نتيجة أسباب متداخلة، يأتي في طليعتها:

قلة الصبر وسرعة الغضب؛ إذ نشأ جيلٌ اعتاد على الحلول السريعة والنتائج الفورية، فلم يُدرَّب على احتمال مشاق البدايات، ولا على تجاوز العقبات الأولى، فصار يفرّ عند أول اختبار، ويهدم ما لم يُبنَ بعد.

ويتعزّز هذا الفشل بضعف التواصل وانعدام الحوار الحقيقي؛ فقد غزت الهواتف الذكية والمظاهر المصطنعة حياة الناس، فألهتهم عن النقاش البنّاء والمصارحة العاطفية، فتراكمت المشكلات، وتبددت المشاعر، وخفتت حرارة العلاقة بين الزوجين.

ويزداد الأمر سوءًا حين يُقدَّم الأنانية على المتراحم، والآخذ على المعطى؛ فحين ينشغل كل طرف بحقوقه دون واجباته، وتجفّ منابع العطاء، يذبل الودّ وتذوي العلاقة.

ثم تأتي التدخلات الخارجية السلبية لتصُبّ الزيت على النار؛ فبدل أن تكون ناصحة مصلحة، تتحوّل إلى عامل توتير وتأجيج، خاصة إذا صدرت من أهل أو أصدقاء غير حكماء.

ولا يمكن تجاوز سوء الاختيار منذ البداية، حين يُبنى الزواج على أسس سطحية كالمال أو الجمال، دون اعتبار للدين والخُلق، فيكون البناء هشًّا، لا يقوى على مواجهة العواصف.

ومما يؤسف له أن هذا الخلل تعمقه ما تبثّه الدراما والإعلام من نماذج مشوّهة؛ حيث يُصوَّر الزواج على أنه قيدٌ وعبء، والزوج متسلّط لا يُطاق، والزوجة متمرّدة لا تُحتمل، مما يُعكّر صفو التصوّر السليم، ويزرع في النفوس أوهامًا تعيق نجاح الحياة الزوجية.

وتبقى النتيجة: أن فشل الزواج ليس صدفة، بل هو نتيجة تراكمات تربوية، وثقافية، ونفسية، تستدعي مراجعة شاملة، وبحثًا جادًّا عن العلاج، يبدأ بإعادة الاعتبار لقيمة الزواج، وبناء وعي ناضج لدى الزوجين، يُمهّد لنفوس متزنة، قادرة على الحب، والتحمل، والبناء، وأعتقد أنها مسؤولية المجتمع كله.

كيف تستقر البيوت؟

عشرُ وسائل لاستقرار البيوت:

١. التراحم الحقيقي:

قال تعالى: (...وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ...) (الروم: ٢١)، ذلك أن الرحمة ليست شفقة، بل هي قوة نفسية وتربوية تحملك على العفو، والتسامح، والإعانة، والمساعدة والمساندة.

٢. الحوار الصادق:

الحوار الصادق هو أساس الخير، ومن هنا أناشد الجميع بدمومة الحوار، والله (تعالى) في كتابه علمنا الحوار مع الأنبياء ومع الملائكة ومع غيرهم، لذلك لا تترك الحوار أبدا، كن قويًّا ففي البدايات دومًا صعوبة، ولا تترك الصمت يُفسد القلوب، ولا الغضب يُطفئ المودة، بل تحدث وتفاهم، وقالوا قديمًا: "بيت بلا حوار كجسد بلا روح".

٣. القناعة والرضا:

من أهم سمات البيت الناجد سيادة الرضا والقناعة، ومن ثم فلا تقارن نفسك أو وضعك بغير، بل قارن نفسك بنفسك، وقديما امتدحوا الرضا والقناعة فقالوا: "اللى يرضى ويقنع يعيش، واللى يقارن يتعب".

٤. تبادل العطاء وتحمل المسؤولية:

إن تبادل العطاء، وتحمل المسؤولية من أسمى قواعد الزواج الناجح، حيث يخدم كل من الزوجين الآخر بمحبة وإخلاص، فلا يكون أحدهما متفرجًا أو متلقيًا فقط، بل يجب أن شريكًا فاعلًا في بناء الحياة.

ولنا في سيدنا رسول الله (ﷺ) المثال والقدوة، تقول السيدة عائشة (رضى الله عنها): "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله"، مثال وهذا حى على العطاء المتبادل وتحمل المسؤولية، حيث شارك في أعمال البيت، وفي راحة أسرته، ليعلمنا التراحم ويرسخ المحبة بين الزوجين.

٥. التغافل عن الزلات:

خُلق التغافل يعنى تعمد التجاهل والتغاضى عن زلات الآخرين، حفاظًا على علاقات الحب والوئام، وهو خلق راقٍ لا يبرع فيه إلا أصحاب القلوب الرحيمة والعقول الرشيدة. والتغافل فن يحتاج إلى ضبط النفس وصبر وحكمة، فهو ليس تساهلًا أو إهمالًا، بل حكمة في التعامل تعزز الألفة وتقى المجتمع من الشقاق.

التغافل عن زلات شرك الحياة أوجب فهو من أسرار دوام الزواج واستقراره، إذ يختار الزوجان تجاوز الأخطاء الصغيرة وعدم التوقف عندها، حفاظًا على المحبة وسلامة العلاقة. لنُبق قلوبنا مليئة بالرحمة والتراحم، بعيدًا عن النزاعات التى تضعف الروابط الزوجية. وقالوا: "من أراد زوجًا أو زوجة بلا عيب، عاش بلا زواج".

٦. إحياء الذكر والعبادة وقيام الليل في البيت:

إحياء الذكر والعبادة في البيوت ركيزة أساسية لاستقرار الحياة الزوجية، وزيادة الخيرات والبركات والمسرات فيها، إذ يُعزز التقوى والمحبة بين الزوجين.

قيام الليل سنة نبوية عظيمة، يزداد بها الإيمان وتطمئن بها القلوب، وهى سبب لقرب العبد من ربه ورضاه، قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا...) (طه: ١٣٢)، وقال عز وجل: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا .وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا. وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا) (الإسراء: ٧٨-٨٠) وقال (ﷺ): (رحمَ اللهُ رجلاً قامَ من الليل فصلَّى وأيقظَ امرأتَه...) [٢٥] ومن ثم يكون البيت بوتقة للسكينة والرحمة، حيث تتقوى الروابط الروحية وتزداد المحبة والتراحم.

٧. منع التدخل في شؤون البيت:

إن عدم التدخل في شؤون البيت من أهم قواعد الحكمة التى تحفظ سلامة العلاقة الزوجية وتمنع الفتنة بين الزوجين، فكم كم بيوت دمرت، وكم من نساء طلقت بسبب تدخل الأهل والجيران والأقارب. لذلك يقول النبى (ﷺ): (مِن حُسن إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيهِ)[٢٦]، فليحرص كل منا على ألا يتدخل فيما لا يعنيه، ولا يقارن زوجته أو بيته بغيره، بل يترك شأن الخلق للخالق، ليبقى البيت آمناً ومستقراً بعيدًا عن النزاعات والتدخلات الخارجية التى تضر وتفرّق.

٨. طلب العلم والتدريب على مهارات التعايش المستقر بشكل مستدام:

العلم النافع، والتدريب الواقعى ركيزتان أساسيتان لبناء شخصية متزنة ومتوازنة، قادرة على مواجهة صعوبات الحياة وتقلباتها بثقة وثبات. فالطلب المستمر للعلم النافع بشتى أنواعه يفتح الآفاق ويمنح الإنسان فهمًا عميقًا لذاته وللعالم من حوله، مما يعزز القدرة على اتخاذ القرارات السليمة وتحليل المواقف بشكل موضوعي.

---

(٢٥) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير– صحيح.

(٢٦) أخرجه الترمذي وابن ماجة.

أما التدريب المستمر على مهارات التعايش الآمن، فهو التطبيق العملى الذي يحول المعرفة إلى سلوك إيجابى ملموس، يساعد على بناء علاقات إنسانية صحية، ويحفظ الاستقرار النفسى والاجتماعى. فالمهارات كالتواصل الفعّال، إدارة الصراعات، وضبط النفس، تُمكّن الفرد من التفاعل بمرونة وحكمة مع مختلف الظروف والتحديات، مما يُسهم في بناء أسرة قوية متماسكة ومترابطة تسهم في بناء مجتمع ناهض.

٩. الاعتراف بالخطأ وإشاعة ثقافة الاعتذار في البيوت:

الاعتذار خلق إسلامى رفيع، به تُطفأ نيران الخلاف وتُروى مشاعر الجفاء، وهو مفتاح لراحة البيوت ودوام الألفة والتراحم. فليس عيبًا أن يخطئ الإنسان، ولكن العظمة في أن يعترف بخطئه ويعتذر عنه. الاعتذار ليس ضعفًا بل شجاعة أدبية تُعلى من قدر صاحبها، وتشيع التواضع والمودة في القلوب. فإذا اعتذر الزوجان لبعضهما، أو اعترف الأب بخطئه، سادت السكينة وانكفأ الشيطان، وارتفع البناء الأسري على أسس من الرحمة والصفاء.

ويبقى الاعتذار الصادق والسريع والصريح مفتاح من مفاتيح راحة البيوت، وسبب في دوام الألفة، وهو سلوك حضاري وعبادة قلبية، من شيم الكبار وسمات الأتقياء.

١٠. الدعاء واللجوء إلى الله في صلاح البيوت:

الدعاء له أسرار وأنوار وقوة روحية عجيبة، وهو عمود التواصل بين العبد وربه، وهو مفتاح التغيير الحقيقى في حياة الإنسان، وخاصة في حياة الأسرة التي تعد نواة المجتمع وأساس بناء الأجيال.

قال تعالى في محكم كتابه: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان: ٧٤)، فهذه الآية الكريمة تحمل في طياتها معاني عظيمة ودعاءً جامعًا يتوسل فيه المؤمن إلى ربه بأن يمنحه السكينة والطمأنينة في بيته، من خلال صلاح الزوجة والزوج، وبركة الذرية، وتحقيق قُرَّة الأعين التى لا تُقدر بثمن، أي السعادة الحقيقية وراحة القلب.

الدعاء لا يقتصر على طلب النعم فقط، بل هو أيضًا مناجاة تفتح بها القلوب على رحمة الله وتذكرنا بأن لكل شأن تدبيرًا من عنده سبحانه، وأن البركة والنجاح في بناء بيت صالح لا يتحقق إلا بقوة العلاقة بالله تعالى.

حين يلجأ الزوجان معًا –وكذا الأولاد– إلى الله بالدعاء، تتقوى الروابط بينهما، ويزيد التفاهم والتسامح، لأنهما يعلمان أن المعونة من عند الله وحده، وأن الابتلاءات والمشكلات تكون سهلًا تجاوزها بالصبر والدعاء. كذلك، يحفظ الله الأولاد ويرشدهم لطريق الخير، ويجعلهم قرة أعين لوالديهم، ويهديهم لفهم الدين والأخلاق، مما يضمن استقرار الأسرة ونجاحها في تربية الأجيال.

والدعاء أيضا يُظهر التواضع والاحتياج لله، مما يجعل الإنسان أكثر استعدادًا لتقبل النصيحة والتغيير، ويساعد على تطهير القلوب من الغرور والأنانية التى قد تهدد وحدة الأسرة واستقرارها.

وأخيرا: ما العلاج العام؟: يكمن في الرجوع إلى منهج القرآن والسنة، وفي الاختيار السليم، والمعاشرة، والتربية، وفي تيسير الزواج، والإعداد النفسى والعلمى للزواج بالدورات، والحوارات، والمجالس التربوية، والفصل بين الأسرة الجديدة والتدخل الخارجى، مع الحفاظ على البر والاحترام دون وصاية، والاستمرار في التعلم بعد الزواج، وأن نعيد الزواج إلى أصله، كما أراده الله: سكن ورحمة وعبادة.

أيها المسلمون اعلموا أن الزواج نعمة، والأسرة أمانة، والتراحم فريضة، ولا سعادة إلا في بيت تُبنى أركانه على الدين، والعقل، والحب، والتفاهم. فـ"فَتَرَاحَمُوا"... تُفلِحوا وتَسْعدوا.

النقطة الأخيرة: رباعية النجاح الحقيقي
عندما يستقيم (الزوجان)

علَّمنا ديننا أن النجاح الحقيقى ليس نجاحًا عابرًا أو جزئيًّا، بل هو نجاح كامل، شامل، مستمر، مستقر، عادل، مستدام يقوم على القيم والرحمة...

فالنجاح الذي يُرضى الله (عز وجل) هو النجاح المتوازن، الذي لا يُهمِل جانبًا لحساب جانب آخر، ولا يُعلي من قيمة دنيوية على حساب القيم الروحية أو الأسرية أو الصحية.

أما النجاح الجزئي فلا نحبه ولا يحبنا. يقول النبي (ﷺ): (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...)[٢٧]. والقوة هنا مفهوم عام وشامل، منها: القوة العلمية، والتربوية، والأخلاقية، والتكنولوجية، والعسكرية... إلخ، والمؤمن القوي هو ذلك الإنسان الناجح بكل كامل...

- فقد يحقق الإنسان نجاحًا رائعًا في عمله، لكنه ليس زوجًا ناجحًا.
- أو يكون زوجًا ناجحًا إلى أعلى درجة، لكنه في عمله ليس ناجحًا.
- وقد ينجح في بيته وعمله، لكن علاقته مع ربه ضعيفة.
- أو ينجح في هذه الجوانب كلها، بينما يهمل صحته.

وهكذا فالنجاح لا يُعدّ نجاحًا حقيقيًا إلا إذا كان شاملًا للرباعية التالية، ويتحقق كما يلي:

١- **نجاحك في علاقتك بالله**: بالعبادة، والخشية، والرضا، وحُسن التوكل.

٢- **نجاحك في علاقتك بزوجك وأولادك وأسرتك وأهلك والناس**: بحسن العشرة، والعدل، والحب، والتربية.

٣- **نجاحك في علاقتك بعملك**: بالإتقان، والأمانة، والإبداع، والتطوير.

٤- **نجاحك في علاقتك بصحتك**: بالعناية الجسدية، والنفسية، والراحة، والتوازن.

فإن اختلّ جانب، انعكس أثره على الجوانب الأخرى. فكن ناجحًا وكوني ناجحة في كل ذلك، ومن ثم تستقيم الحياة على نحو متوازن، تتحقق فيه السكينة، ويزدهر فيه الحب، وتُبنى فيه أسرة قوية متماسكة، تُسهم في صلاح المجتمع ونهضة الأمة... وبالله تعالى التوفيق.

اللهم أصلح بيوتنا، وبارك في أزواجنا، وارزق شبابنا الزواج الحلال، واحفظ بناتنا من التأخر والعنوسة، واهدِ كل زوجين إلى التراحم والمودة والسكن.

اللهم اجعل بيوتنا بيوت سكينة ورحمة، واجعلنا من المتراحمين، وبارك في أزواجنا وأبنائنا.

اللهم أصلح ذات بين الأزواج، وألِّف بين قلوبهم، وانزع من بيوتنا الشحناء والبغضاء.

اللهم من كانت له مشكلة في بيته، ففرّجها برحمتك، وأزلها بحكمتك، وأبدلها طمأنينة وأمانًا.

اللَّهُمَّ أَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَى مِصْرَ وَأَهْلِهَا، وَافْتَحْ لَنَا البَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَبَارِكْ فِي مِصْرَ وَرَجَالِهَا وشَعْبِهَا وَجَيْشِهَا

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/

(٢٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.